مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 2 2025

آفاق التواصل والاحتكاك الثقافي في الرحلة الرقمية المعاصرة

Prospects of Communication and Cultural Interaction in the Contemporary Digital Journey

د. تلكماس المنصوري: كلية الآداب واللغات والفنون جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

Dr. Tulkamas Al-Mansouri: Faculty of Arts, Languages, and Arts, Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco.

Nomidya_90@hotmail.com

مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 2 2025

الملخص

يعرف العالم المعاصر تطورًا تكنولوجيًا في جميع مجالات ومناحي الحياة، والأدب جزء لا يتجزأ من هذه السيرورة. ومن ثم، لزم إعادة التفكير في موقع الأدب وأهم التطورات والمستجدات التي لحقته تبعًا للبيئة الثقافية المصاحبة له. من هذا المنطلق، حاولت في هذه المداخلة "مساءلة جنس الرحلة" باعتباره مكونًا هامًا من مكونات الأدب العربي. كما حاولت ملاحظة أهم التغيرات التي استفاد منها هذا الجنس الأدبي في ظل زمن العولمة وعصر التحول الرقمي.

يدفعنا استحضار عناصر التطور التكنولوجي والرقمي إلى طرح السؤال: هل ما زال الجنس الرحلي قائمًا ويحظى بالإقبال تأليفًا وتلقيًا؟ أم يمكن أن ندخله مع جملة من الأشكال الإبداعية الكتابية تحت مسمى "محكي السفر"، بغض النظر عن السند الذي يأتي فيه؟ لقد اتسعت وتيرة السفر وتغيرت وسائله ومواصلاته، كما ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي على الخط، وتسارعت وتيرة الإقبال عليها، وتداخلت المتعة بالاستفادة، وحضرت المغامرة والاستكشاف. وهنا نطرح فرضية المداخلة:

"هل يمكن القول إن الرحلة الرقمية هي شكل متطور ومتحور جاء كطفرة وبديلاً عن الرحلة التقليدية؟ هل بات الافتراضي بديلاً عن الواقعي/ والصورة بديلاً عن الوصف والسرد؟

بصيغة أخرى، هل يمكن أن نعقد دراسة مقارنة بين رحلة ابن بطوطة القروسطي ورحلة "على خطى ابن بطوطة في القرن الواحد والعشرين" لياسين غلام، الشاب ابن القرن الواحد والعشرين؟ الأولى مسجلة على السند الورقي، والأخرى مسجلة على السند الرقمي.

لقد بات الشباب العربي المعاصر أكثر إقبالًا على خوض هذا النوع من الرحلات الفردية من أجل المغامرة، وأيضًا من أجل اعتبارها وسيلة للتواصل مع العالم الخارجي: الحقيقي والافتراضي (عبر

وسائل التواصل الاجتماعي). وهي أيضًا وسيلة من وسائل الاحتكاك الثقافي المباشر بين الشعوب والثقافات المختلفة.

لقد وجد مجموعة من الشباب الرحالة ضالتهم في التواصل اليومي والمباشر عبر الشبكات والمنصات الرقمية المختلفة، ونسجوا صلة وصل فيما بينهم وأيضًا مع جمهور المتابعين (Flowers) والمعجبين الذين يساندون تجربة الرحلة المصورة والمبثوثة عبر القنوات الرقمية. نستحضر هنا بعض النماذج من قبيل: الرحالة المغربي عثمان الزولاتي، ورشيد غلام، والشاب زكرياء الصفاري، والشاب عبد الهادي السكراضي، والرحالة حفصة بنعيلة، وابتسام عزاوي، ومريم بلكيحل، واللائحة تطول.

الكلمات المفتاحية: رحلة رقمية، وسائل تواصل اجتماعي، احتكاك ثقافي.

Abstract:

The contemporary world is witnessing technological development in all areas and aspects of life, and literature is an integral part of this process. Therefore, it is necessary to rethink the position of literature and the most important developments and innovations that have affected it according to the accompanying cultural environment. From this perspective, I attempted in this presentation to "question the genre of travel" as an important component of Arabic literature. I tried to observe the most significant changes it has benefited from in the context of globalization and the era of digital transformation.

The evocation of elements of technological and digital development prompts us to ask the question: Is travel writing still prevalent and well-received in terms of both creation and reception? Or can we categorize it alongside a range of other creative writing forms under the label "travel narrative," regardless of the context in which it appears? The pace of travel has expanded, its means and modes have changed, social media has emerged, and the rate of engagement with it has accelerated, blending enjoyment with benefit, and adventure with exploration. Here, we present the hypothesis of intervention:

"Can it be said that the digital journey is an evolved and mutated form that has emerged as a breakthrough and alternative to the traditional journey? Has the virtual become a substitute for the real, and the image a substitute for description and narrative? In other words, can we conduct a comparative study between the medieval journey of Ibn Battuta and the journey 'In the Footsteps of Ibn Battuta in the Twenty-First Century' by Yassine Ghalam, the

young man of the twenty-first century? The former is recorded on paper, while the latter is recorded digitally."

Contemporary Arab youth have become more inclined to embark on these types of individual journeys for the sake of adventure and also as a means of connecting with the outside world: both the real and the virtual (through social media). It is also a way of direct cultural interaction between different peoples and cultures. A group of traveling youth have found their niche in daily and direct communication through various digital networks and platforms, establishing connections among themselves and with the Arab world from a following audience (Flowers) and fans who support the documented travel experience broadcasted through digital channels. Here, we recall some examples such as the Moroccan traveler Othman Al-Zoulati, Rashid Ghalam, young Zakaria Al-Safari, young Abdelhadi Al-Sukrati, traveler Hafsa Benailah, Ibtissam Azaoui, and Mariam Belkhiyal, and the list goes on.

Keywords: Digital journey, Social media, Cultural interaction.

المقدمة

يعرف العالم المعاصر تطورا تكنلوجيا في جميع مجالات ومناحي الحياة، والأدب جزء لا يتجزأ من هذه السيرورة. ومن تم لزم إعادة التفكير في موقع الأدب وأهم التطورات والمستجدات التي لحقته تبعا للتبيئة الثقافية المصاحبة له. من هذا المنطلق حاولت في هذه المداخلة "مساءلة جنس الرحلة" باعتباره مكونا هاما من مكونات الأدب العربي. وحاولت ملاحظة أهم التغيرات التي استفاد منها في ظل زمن العولمة وعصر التحول الرقمي.

يدفعنا استحضار عناصر التطور التكنلوجي والرقمي من أجل طرح السؤال: هل ما زال الجنس الرحلي قائما ويحظى بالإقبال تأليفا وتلقيا؟ أم أننا يمكن أن ندخله مع جملة من الأشكال الإبداعية الكتابية تحت مسمى "محكي السفر"، بغض النظر عن السند الذي يأتي فيه؟ لقد اتسعت وتيرة السفر وتغيرت وسائله ومواصلاته، كما ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي على الخط، وتسارعت وتيرة الإقبال عليها، وتداخلت المتعة بالاستفادة، وحضرت المغامرة والاستكشاف، فهل بات الرحالة الشباب ممن يخوضون تجربة الارتحال سفراء للثقافة في بلدان الاستقبال وأيضا ناقلين لثقافات الشعوب المرتحل إليها؟

ماذا عن فعل التثاقف هل يشترط أن يكونوا من النخبة المثقفة أو أن يكونوا ملمين بآليات التواصل والتفاعل بين الشعوب من أجل خوض فعل الترحال في الزمن المعاصر؟

نتساءل أيضا عن المواضعات والسياق الذي يحصل فيه اللقاء والتواصل والاحتكاك الثقافي في زمن التقدم التكنلوجي بين الأنا والآخر، حيث تقوم الصورة مقام الكثير من العلامات الأخرى وتختصر سنوات من التأويل والتحليل لأنها تحصل في الآن ذاته الذي يتم فيه التلقي والاستقبال من جمهور

المتابعين، كيف تكون ردود الأفعال، وكيف يستقبلها الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي؟ وكيف هي حال الذات ناظرا ومنظورا إليها؟

في هذا السياق ووفق المعطيات السابقة تكمن أهمية الدراسة التي نقترحها في هذه المداخلة وذلك بحكم كونها مستجدة وقائمة الذات وهي واقع يفرض نفسه، خاصة مع وجود رحالة يخوضون التجربة. هناك من انتهى منها وهناك من مازال قيد بث وتقاسم تجربته في الرحلة عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وعليه فإن تصميم المداخلة محدد في شقين الأول نظري، يبسط سياق الاحتكاك الثقافي في الرحلة الفنية المعاصرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وشق تطبيقي يروم مقاربة تجارب الرحالة الشباب خاصة المغاربة، ممن اختاروا فعل الترحال واستكشاف العالم بأنفسهم واعتمادا على تجاربهم الشخصية من أجل نقل انطباعاتهم وأثرها على حياتهم. كما قرروا خوض تجربة الاحتكاك الثقافي مع شعوب مجاورة وفي بيئات مختلفة، دون أن يكتفوا بما نقله الآخرون أو بما قرؤوه أو بما شاهدوه وتابعوه عبر وسائل الاعلام المتنوعة. وهم أيضا يحاولون توثيقه ونقله إلى جمهور المتابعين بأعين عدسات كاميراتهم وتجهيزاتهم المعاصرة. اخترنا إذن تجربة شابين مغربيين هما ياسين غلام، ومريم بلكيحل، وهما معا سلكا طريق الجنوب عبر إفريقيا: الأول كان هدفه الحج، والثانية هدفها الاستكشاف والاحتكاك الثقافي مع الآخر.

سنعتمد في تحليل تجربتهما الرحلية على مجموعة من المؤشرات الهامة التي تميز نقل وبث وقائع رحلتيهما عبر صفحات التواصل الاجتماعي وعبر المنصات الرقمية، من أجل الخروج بخصائص تميز هذا الفن المستجد الذي نؤمن بأنه يستحق العناية والاهتمام لأنه يمثل طفرة نوعية وتحولا عن جنس قديم كلاسيكي هو جنس الرحلة.

المبحث الأول: الاحتكاك الثقافي عبر الوسائط التفاعلية داخل الرحلة الرقمية

المطلب الأول: مؤشر الاحتكاك والتواصل

يبدو أن فعل التواصل والتبادل الفكري والثقافي هي من صميم الرحلة المعاصرة خاصة تلك التي يتفاعل فيها الرحالة مع الشعوب المختلفة عن قرب وعن كثب، ويتم توثيقها ونقل أحداثها مباشرة وبشكل آني وفوري مع جمهور المتابعين ومن جنسيات مختلفة. فيحضر الفعل الكوسموبوليتي في التعامل مع الثقافة والتثاقف، إذ يصير المنظور أقرب إلى القرية الصغيرة التي يتفاعل فيها الجميع مع الجميع ويتابع فيها الكل هذا التفاعل. وهي تعكس سلسلة التنظيمات التبادلية غير المفروضة وغير الاضطرارية وتتجاوز التبادل الضيق والتعميمي.

ومع الرحلة الرقمية يحضر منظور "مواطن العالم" وهو ما يكرس فعل التسامح وشعور الانتماء للعالم وللإنسانية جمعاء. وهكذا "فالعالم كتاب لم نقرأ منه غير صفحاته الأولى حين لا نشاهد غير موطننا ووطننا الضيق بخصوصياته، من ثم فالخاص والعالمي كانا وراء تأمل الكوسموبوليتية مع كازانوفا ١٩٩٩، حيث تهيمن إشكالية العولمة". (علوش،٢٠١٩، ص: ١٨٩)

إن "ثقافات العولمة" التي تحدث عنها فريديريك جيمسون (جيمسون، 2004)، تجد صداها في النقلات التي يحدثها شباب الرحلة الرقمية على الواقع الحقيقي وعلى الواقع الافتراضي، رغم الإيمان العميق منا بأن ثقافات الأقليات مازالت تقاوم وتحافظ على خصوصيتها وهو ما يؤكده ما تنقله فيديوهات الرحالة في زمن الألفية الثالثة والتي دخلت عقدها الثالث (يمكن هنا الاستشهاد بفيديوهات ياسين غلام عن عادات الشعوب الإفريقية المحلية من زواج وتعامل مع النقود والتشاؤم منها وغيرها من المعطيات الفكرية والثقافية التي تكرس فكر المقاومة).

فمثلما أن هناك احتكاكا مباشرا بين الرحالة والآخر المختلف/ المؤتلف، نجد احتكاكا بصريا سمعيا رقميا بين المتابعين وبين هذه الشعوب، خاصة فيما يتعلق بالتقارب الآسيوي/ الإفريقي. وبالنسبة للدراسات الثقافية يمكن اعتبار معطيات الرحلة الرقمية بمثابة مواد وشهادات يمكن الاستناد إليها في دراسة التاريخ الثقافي للشعوب، فهي تسمح لنا بدراسات مقارنة على العديد من المستويات (زمانيا وجغرافيا وتاريخيا وغيرها). كما تمكننا من مقارنة الصور المنقولة إلينا عبر التاريخ بين الرحالة الكلاسيكيين والمعاصرين من أجل رصد المؤتلف والمختلف، ما الثابت وما المتغير في نقل الصور وتبادل المعارف.

هي مادة سفارية معاصرة هامة تنضاف إلى أخرى من أجل الاستفادة منها في الكثير من المجالات الجيوستراتيجية والتي لا تقتصر فقط على الثقافة والآداب. فمثلا ما كان يجده الرحالة القدامى عجيبا وغريبا على مستوى اللباس والطعام والأفكار والمعتقدات، بات الرحالة اليوم يجدونه معتادا ومألوفا نظرا لتكريس الصور والتعرف عليها وتبادل أنماط حياة وعيش عن قرب على منصات التواصل الاجتماعي، فمن ذا الذي لا يعرف الكسكس المغربي أو الكبسة الخليجية (شرقا وغربا)، وقس على ذلك من مظاهر الاحتكاك الثقافي والفكري بين الشعوب، والذي تساهم فيه الرحلة الرقمية بجزء كبير.

المطلب الثاني: مؤشر التفاعل الرقمي

نميز هنا بين الوسائط المتعددة والوسائط المتفاعلة، ذلك أن الأولى تقتضي الانتقال من السند المكتوب الورقي إلى اعتماد الصورة والصوت، ولكن دون إمكانية تدخل القارئ/ المتابع المشاهد، الذي يقف موقفا سلبيا لا يتعدى الاستهلاك والتلقي. أما الوسائط المتفاعلة فتتميز بخاصية الربط

(connect) والتفرعية والتشظي والتفاعل المباشر الآني والبعدي بين المنتج والمتلقي مع ما تتم مشاهدته أو ما ينقل له.

فمثلا أثناء متابعة مقاطع مصورة من رحلة الشاب المغربي "ياسين غلام" على صفحة الانستغرام أو السناب شات يمكن للمتلقي أن يتفاعل بتعليقات أو إعجاب أو قلوب ووجوه مختلفة حسب محتوى ما ينشره.

المستوى الأول يكمن في الروابط التي تظهر على الفيديو أو الصور وهي تحيل على روابط أخرى إما لعناوين وصفحات الرحالة ذاته (تحيلك وتنقلك إلى صفحات أخرى لياسين المغربي على اليوتوب أو التيك توك...) ويكفي أن تنقر على شاشة الحاسوب أو تمرير الأصبع على الهاتف الذكي أو الشاشات اللوحية لتنتقل إلى مواقع وروابط أخرى متفرعة تسمح بها خاصية الترابطية والإبحار التفاعلي.

كما يمكن أن تكون هذه الروابط هي عناوين لصفحات وأشخاص آخرين، أحب الرحالة نفسه أن يتشاركها ويتقاسمها مع معجبيه وهي عناوين لرحالة آخرين أو لمواقع رأى أنها ذات فائدة للمتابعين، أو لأغراض أخرى (تجارية/ الإشهار/ علمية/ حصد عدد المتابعات...).

تعتمد المقاطع الرحلية المصورة على أنظمة شبكية تشعبية وغير خطية، بحيث إن متابعة فيديو مترابط تتم عبر الانتقال عبر مقاطع أخرى والعودة إلى الصفحة الرئيسية، وهذا هو جوهر الترابط والتشعب الذي بدأ بظهور النص المترابط (Hypertexte). إن قراءة "نص مترابط تتم عبر الانتقال المستمر من نص لآخر عبر روابط، ويمكن الرجوع للنص الأول والانتقال مرة ثانية لنص آخر عبر رابط آخر إلى أن يستنفد القارئ كل الروابط أو يختار ويتجاهل بعضها. كما أن الروابط يمكن أن

تحيل على وسيط مترابط Hypermedia قد يكون مرئيا (فيلم، صورة رسم بياني...) أو مسموعا. هذا الفضاء النصي الرقمي غير بطريقة عميقة عملية الكتابة والقراءة. فأصبح النص غير خاضع للتنظيم الخطي الذي يميز النص في الكتاب المطبوع، كما أصبح منفتحا وبطريقة فعلية على نصوص أخرى يمكن قراءتها من خلال روابط النص الأول"(مفضل، 2014، ص:٢٨- ٢٩).

خاصية الترابطية سمة أساسية في الرحلة الرقمية وفي كافة المواد والمحتويات على الوسائط التفاعلية، وهي التي تجعل المتلقي في مواجهة حركة حثيثة ودائبة لا تتوقف وعدد لا حصر له من الرموز والعلامات التي تزاحم العين لحظة متابعة فيديو على أحد المواقع. ناهيك عن وجود روابط تفاعلية اختيارية وأخرى إجبارية لا يمكن التخلص منها بل هي من صميم وشروط الموقع المستعمل، يتعلق الأمر بالإشهارات الإجبارية التي تحمل روابط أخرى لا متناهية وتعيش طفيلية تقتات على أرقام التفاعل وأعداد المتابعين للمواقع والصفحات خاصة المشهورة منها. مثلما أن تنشيط خاصية الإشهار هي عملية اختيارية لأصحاب الصفحات والمواقع الإلكترونية وذلك لغايات متعددة (ربح مادي متبادل بين صاحب الموقع والوسيط التجاري/ أو أن شروط الموقع تجبر مستعمليه على قبول خاصية الإشهارات والتنبيهات notifications/ cookies).

المطلب الثالث: شبكات التواصل الاجتماعي

إن المبدأ الأساس الذي منحه التقدم والتطور التكنلوجي كان على مستوى التواصل ونقل المعلومة وهما حلقتان هامتان مرتبطتان بأهمية "السرعة" في النتيجة. فكلما كان التواصل والحصول على المعلومة أسرع وأطرى، كلما كان لوسائل التواصل الاجتماعي ولكافة الوسائط المتعددة والمتفاعلة

قيمة وجدوى من الاستعمال. ومن ثم كان الرهان الأكبر: "هو التواصل والحصول على المعلومة بأيسر وأسرع الطرق"(مفضل، 2014).

لقد شكل انتشار واستعمال "شبكات التواصل الاجتماعي ثورة حقيقية في آليات التفاعل والتواصل في المجتمع الإنساني المعاصر، ومهد تدريجيا لانتقال الإنسان من مجتمع القراءة إلى مجتمع التواصل الرقمي المتعدد الوسائط والذي أصبح يشكل فيه المكتوب والمقروء نسبة ضعيفة في عملية خلق المعنى وتحقيق التواصل"(مفضل،2014، ص: 11.)

منذ أن حاول بوش (Buch) التفكير في "المعلومة" من خلال إمكانية تخزينها واسترجاعها في كل وقت، وابتكاره لميمكس Memex التي تمكنه من تخزين المعلومات واستعادتها عبر روابط ميكانيكية ونحن نشهد تطورا في آليات التعامل مع المعلومة والتواصل خاصة مع تطور أنظمة الحاسوب وشبكات التواصل الرقمي.

لقد "التقطت حسب بعض الإحصاءات، ما يقارب ٨٥٠ مليار صورة سنة ٢٠١٢، ظل أغلبها حبيس العوالم الافتراضية ولم يعرف طريقه أبدا إلى السند الورقي. فقد تداول الناس هذا الكم الهائل منها في شبكات التواصل الاجتماعي بعيدا عن أي غاية فنية أو جمالية. لقد بدأوا يستنبتون أو يستثيرون في العالم الافتراضي، بواسطة الصورة سلسلة من الوضعيات التي يتوهمون أنها حقيقة الواقع وذاك مصدرها الوحيد، واستكانوا بعد ذلك لما استنبتوه هم أنفسهم. فتحول الواقع إلى لحظة هشة عابرة في الوجدان سرعان ما تتلاشى وسط حقائق تبنى في عالم افتراضي ليس معنيا بتعقيدات الحقيقة الواقعية وطابعها المركب" (بنكراد،٢٠١٩، ص:١٣-١٤).

لاحظت "إلزا كودارت" (Godart ,2016) أن الناس باتوا أكثر إقبالا على العوالم الافتراضية دونما حاجة إلى الانتقال إلى العالم الحقيقي. وكأن الجواب عن سؤال ضرورة كتابة وتدوين رحلة "الشاب ياسين المغربي" وغيرها من التجارب الرحلية الرقمية، أمر غير ذي جدوى. لا حاجة إلى كتابة ما لن يقرأه جيل الألف مشاهدة والمليون متابعة، وعشرات الإعجابات (Like/ J'aime). وهو جيل يفضل أن يرى الرحلة حية ومباشرة وتعزف نفسه عن قراءتها، ولو كانت هي ذاتها التي تابعها ورآها لحظة بلحظة، فكيف نريد له أن يعيد قراءتها في سند ورقي، اللهم إلا إذا كان المغزى من كتابتها وتدوينها هو حفظها وتسجيلها للتاريخ، وذلك إشكال آخر.

كما أن مفهوم "الرقمية"[1](Numericité) ذاته في حاجة إلى المزيد من التفكير والضبط والتدقيق في المغزى منه، والمقصود به، هل ينصرف إلى كل ما هو مبثوث في العوالم الافتراضية وعلى وسائل التواصل الاجتماعي؟ أم أنه يشمل كل ما استعملت فيه تقنيات رقمية وتكنلوجية متطورة؟ أم يقصد به أشياء أخرى تجر وراءها إشكالات نظرية وفكرية شأن الأبحاث التي ذهب إليها سعيد يقطين وفاطمة البريكي من قبيل مسميات النصوص الترابطية والتشعبية وغيرها؟ أم نجنح إلى القطع بأن "الرقمية: هي كل ما يجعل من عمل ما عملا رقميا".

لا تخفى على أحد أهمية الأرقام في تعزيز رصيد المبدع، مهما كان مجال تخصصه، وهي تعطينا صورة حقيقية عن طبيعة تشكل مجتمعات الصورة خلال الألفية الثالثة. "إن ظهور الصورة جعل الاهتمام ينصب على الإمكانيات التي تتيحها هذه الأداة للتعبير بكثافة عن الواقع والدخول في عالم

١- حاولنا نحت هذه الكلمة من (Numérique/ numérisation)، للدلالة على صفة تجعل من كل ما يشتغل عليه عبر الوسيط الرقمي رقميا، أي كل ما يجعل من عمل ما عملا رقميا، وذلك قياسا على مفاهيم من قبيل الأدبية (Littérarité) والفنية (Artisticité).

جديد، تصبح في العلامات أكثر قوة من الخطاب اللسني. وهو ما سماه رولان بارث ببلاغة الصورة (Rhétorique de l'image). ذلك أن المرئي (Le visible) أضحى أكثر صدقا في التعبير، بتضمينه بنية إخبارية من جهة، ومن جهة أخرى أنسقة الرموز والدلالات بمختلف الأشكال. لقد احتلت الصورة مكان الكلمة، إذ لا يمكننا أن ندخل العالم الجديد بأدوات تقليدية: فالشاشة، ولوحة القيادة، أو الكونسور واللوحة الإلكترونية قد حلت محل هذه الأدوات. وبالرغم من أن التواصل الإنساني مازال يعتمد على الكلام، فإن للصورة حضورا قويا، خاصة إذا استحضرنا الكيفية التي طورت بها التكنلوجيا شروط التواصل، فهي لم تطور فقط شروط الوجود، بل كذلك قد جعلت من التواصل نمطا جديدا للوجود الأفضل"(بوجيدة، ٢٠١٦، ص: ٦٢-٦٣.) .

بات مؤشر المتابعة والمشاهدة رهن إشارة الصورة والتكنلوجيا، إنها المتحكم فيه، لكنه في آن هو المؤشر الدال على عيش أجناس معاصرة وانقراض أخرى. فمثلا يبدو أن ألعاب الفيديو، وحمى صناعتها واستهلاكها بات هاجس كل شاب أو شابة أو طفل أو طفلة عبر العالم. فهل علينا التغاضي عن هذا الجنس المستجد؟

المتلقي/ المشاهد يمتلك قوة كبيرة في التأثير على معطيات الآلة النقدية، لأنه صار كالطفل الصغير الذي يضغط بكل ما أوتي من قوة من أجل فرض رأيه وأخذ ما يحب. وهنا بات دوره الضغط على جمهور النقاد والمفكرين من أجل الانتباه لرغباته، ما يريد قراءته/ مشاهدته، وما لا يريد، ما يحب استمراره وما يهمله فيطاله النسيان.

المطلب الرابع: توثيق ومشاركة تجارب السفر عبر الوسائط الاجتماعية:

الرحلة الرقمية أو الرحلة التصويرية هي تجربة تستند إلى استخدام التكنولوجيا الرقمية والوسائط الاجتماعية لتوثيق ومشاركة تجارب السفر والمغامرات مع الجمهور عبر الإنترنت. تعتمد هذه الرحلة على استخدام الأجهزة الذكية والكاميرات الرقمية والمنصات الاجتماعية لتوثيق ومشاركة اللحظات والأحداث خلال السفر.

من خلال متابعتنا لتجربة شابين مغربيين يخوضان فعل الترحال بالصور وبالتوثيق الفني، وهما مريم بلكيحل وياسين غلام، لاحظنا أن كلا منهما يقدم نظرة فريدة على الرحلة الرقمية. تميزت رحلة مريم بلكيحل بتوثيقها للمناظر الطبيعية الساحرة والثقافات الإفريقية المحلية بشكل جميل وإلهامها للآخرين بالمغامرة في أماكن جديدة. بينما قدم ياسين غلام رؤية مميزة من خلال رحلته الرقمية، حيث قام بتسليط الضوء على التجارب الفريدة والغريبة والأنشطة الرياضية الشيقة، كما صنع لنا مسار رحلة إلى الحج على الطريقة المعاصرة.

المطلب الخامس: مؤشر الجندرية

نريد قبل أن نبدأ المقارنة بين التجربتين أن نسجل أننا بصدد حدث مستجد وفريد من نوعه ويتعلق الأمر بخوض الإناث للرحلة وخاصة في الزمن المعاصر. وهو الأمر الذي يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة حول مدى سهولة أو صعوبة التجربة: كيف تختلف أو تشترك مع رحلات الذكور سواء من الرحالة القدامى أو من الرحالة الجدد؟ ما الذي يميز نظرة الأنثى فيما تنقله وتبثه من صور وأحداث على مواقع التواصل الاجتماعي عن نظرة وتصور الذكور للأفعال والأماكن والجغرافيا ذاتها؟ هل يحصل الاحتكاك الثقافي وتبادل التجارب بالمقاييس نفسها، أم أن هناك اختلافا يعزى إلى جنس

الرحالة؟ وكيف تلقتها شعوب البلدان المرتحل إليها؟ ومن ثمة هل تفاعلوا معها بالطريقة ذاتها أم أن هناك تمييزا يخص النساء دون الرجال.

كلهم مروا من هنا ولكن كيف نقلوا إلينا ما نقلوا، هل تدخل مؤشر الجندرية في التأثير على خصائص ومميزات التجربة، أم أن الأمر سيان، إذ بغض النظر عمن يرتحل تبقى الرحلة هي ذاتها تحكمها قوانين ومواضعات أخرى غير شرط الجندر.

والمثير للاهتمام أن التجربة باتت في اتساع وتزايد مستمر، إذ إننا نجد فتيات شابات عربيات ومغربيات يخضن هن الأخريات غمار الرحلة الفنية/ الرقمية، وهنا تحضر الكثير من الأسئلة والتعليقات والاستنتاجات التي نقتصر منها على فكرة الجندرية في الانفتاح على هذا المنتوج المتخيل السياحي عبر الوسائل الرقمية. من هؤلاء رحلة الشابة "حفصة بنغيلة" والبالغة من العمر ٢٢ سنة والتي قطعت رحلتها من البيضاء إلى الداخلة مشيا على الأقدام في ١٥ يوما[٢]، وكذلك الشابة الرحالة "ابتسام عزاوي"[٣] التي لها موقع على صفحات اليوتوب موقع باسم (Ibtissam Azzaoui travel) ويفوق عدد المشتركين فيه المئتي ألف متابع. وبدأت رحلتها سنة ٢٠١٢ عبر مدن المغرب وتسلق الجبال خاصة قمة توبقال، وهي تفضل أن ترحل ضمن مجموعات تمارس نفس الهواية/ الجولة/ الرحلة Trip.

٢- رحلة الشابة موثقة على صفحات التواصل الاجتماعي، وكان متابعوها يستقبلونها في المدن التي تصلها، ولقيت دعما شعبيا بفضل ما تنشره عبر صفحاتها، وقد عايشت هي الأخرى بعض المغامرات التي لا تخلو من مخاطر وتنمرات.

٣- بدأت رحلتها سنة ٢٠١٢ ضمن موجة جديدة يشهدها العالم هي ما يعرف ب trip، ويعني الرحلة باللغة الإنجليزية.

قام كل من الرحالة الشاب ياسين غلام، والرحالة الشابة مريم بلكيحل، بالتركيز على مجموعة من الجوانب الرئيسية للرحلة الرقمية، التي تكمن في أهمية التوثيق الجيد والمشاركة الفعالة على وسائل التواصل الاجتماعي لنشر الجمال الذي يمكن أن يكتشفه الإنسان في رحلاته حول العالم. كالتصوير واعتماد تقنية الفيديو حيث يتم تصوير اللحظات الرائعة والمناظر الطبيعية والأحداث بواسطة الكاميرات الرقمية وهواتف الجوال. بالإضافة إلى التواصل الاجتماعي حيث اعتمدا نشر الصور ومقاطع الفيديو والتحديثات على منصات التواصل الاجتماعي لمشاركة التجارب والتواصل مع المتابعين والأصدقاء والعائلة على منصات مثل Instagram وFacebook وTwitter وTikTok.

فضلا عن التوثيق الشخصي وتوثيق تجارب السفر الشخصية وإضافة الروح الشخصية والملامح الفريدة إلى الرحلة من خلال السرد والقصص والمشاركات الشخصية. إضافة إلى محاولة جذب الجمهور والتفاعل مع المتابعين والمشجعين عبر التعليقات والرسائل والأسئلة ومشاركة المشورة والمعلومات حول السفر.

المبحث الثاني: الإطار التقني الذي يحكم التوثيق لفعل الاحتكاك الثقافي في الرحلة الفنية:

المطلب الأول: فن التصوير الرقمي والمعدات المستخدمة:

يبدو أن الرحلة الرقمية أصبحت شكلا شائعا لتوثيق تجارب السفر ومشاركتها مع العالم عبر الإنترنت، وهي تقنية مهمة للمساهمة في توسيع آفاق السفر والثقافة والتواصل الاجتماعي. ومن خلال متابعتنا لرحلة كل من مريم بلكيحل وياسين غلام عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومنصة

اليوتيوب، توصلنا إلى مجموعة من الملاحظات خاصة على المستوى التقني فيما يتعلق بالفروقات أو التشابهات بين رحلة الشابين المغربيين:

- فكلاهما اعتمد على استخدام وسائل التكنولوجيا الرقمية والوسائط الاجتماعية لتوثيق ومشاركة تجارب السفر والمغامرات. وهذه بعض المعلومات حول معدات التصوير المشتركة للرحلة الرقمية:
- تم اعتماد **الكاميرا الرقمية** لتصوير اللحظات الخاصة خلال الرحلة. في غالب الأمر تم استخدام كاميرا DSLR أو ميرورليس Full Frame بجودة عالية أو كاميرا مدمجة لسهولة الحمل.

وكما هو ملحوظ في بعض الفيديوهات تم اعتماد **كاميرا GoPro** (هي علامة تجارية مشهورة لكاميرات الفيديو والتصوير الرياضي والمغامرات). نظرا لما تعرف به كاميرات GoPro من صغر حجمها وخفة وزنها وقدرتها على تصوير فيديو عالي الجودة بزوايا متعددة وفي بيئات صعبة. ولما يتميز به هذا الجهاز من قدرته على تحمل الظروف البيئية القاسية مثل الماء والرمل والصدمات، مما يجعلها مثالية لتصوير الأنشطة الخارجية والرياضات المائية والتزلج وركوب الدراجات والمزيد. تمتلك GoPro سمعة قوية في مجال التصوير الرياضي والمغامرات وقد أصبحت كاميراتها شائعة بين المصورين المحترفين وهواة التصوير على حد سواء.

من خلال جودة العمل البارزة التي لاحظناها في العديد من مقاطع الفيديو، يتضح أنهما قد اعتمدا على مجموعة متميزة من المعدات التصويرية. وهو ما يتطلب بالضرورة انتاج صور عالية الجودة، وعليه فقد تم استخدام **عدسات احترافية ومتنوعة** لالتقاط صور بزوايا متعددة. فقد رأينا استخدام

عدسات واسعة لتصوير المناظر الطبيعية بكل تفاصيلها، بينما استُخدمت عدسات زووم لالتقاط التفاصيل الدقيقة.

الملاحظ أنهما لم يكتفيا بذلك فقط، بل استخدما أيضًا **حامل الكاميرا ثلاثي الأرجل** ببراعة. هذا كان واضحًا من جودة الصور الثابتة والاستقرار الرائع أثناء التصوير. هذا الاهتمام بالتفاصيل واستخدام المعدات الاحترافية يعكس حرفيتهم واهتمامهم بجعل تجربة المشاهدين مميزة وجذابة.

تم اعتماد و**استخدام الهواتف الذكية** بشكل رئيسي بسبب توفر كاميرات عالية الجودة مدمجة فيها، مما يسهل التقاط الصور بشكل فوري ومشاركتها على منصات التواصل الاجتماعي دون عناء، بفضل التطبيقات التي توفرها وأيضا بفضل سهولة استخدامها حتى بالنسبة للناس العاديين دون شرط أن يكونوا محترفين في فن المونتاج والتصميم ودمج الموارد الرقمية. إن هذه الهواتف الذكية توفر وسيلة مريحة وفعالة لتوثيق اللحظات والمناظر أثناء الرحلة.

– بالإضافة إلى ذلك، لاحظنا في بعض الفيديوهات استخدام **حامل الهاتف** أو مثبت الكاميرا المعروف بـ "**ستابلايزر**" **أو Gimbal** هذا الجهاز يساعد في الحفاظ على استقرار الهاتف أثناء التصوير المتحرك، مما ينتج عنه صور وفيديوهات أكثر استقرارا وجودة، خاصة أثناء الحركة أو الاهتزاز الناجم عن ركوب الدراجة، ناهيك عن وزنه الخفيف الذي يسمح بمساحة حركة وتنقل أيسر وأطول دون شعور بالتعب السريع.

– نسجل أيضا استخدام **ميكروفون خارجي** لتحسين جودة التسجيل الصوتي، مما ساهم في تقديم صوت أوضح وأقل تشويشا أثناء عملية التصوير. هذا التركيز على تحسين الجودة والاستقرار يظهر التفاني والاهتمام بإنتاج محتوى عالي الجودة وإشراك الجمهور بشكل أفضل.

– من خلال مشاهدة مقاطع الفيديو التي تظهر التصوير من السماء، أو ما يُعرف بالتصوير الجوي، يمكن استنتاج أن الرحالتين الشابين معا قد اعتمدا على استخدام **كاميرا درون** لتصوير المناظر الطبيعية والأماكن من الأعلى. وهذا ليس مفاجئًا بالنظر إلى أن رحلاتهما تشمل مناظر طبيعية واسعة ومناطق يصعب الوصول إليها بسهولة من الأرض.

وما يميز هذا الاستخدام هو أنهما اعتمدا على "درون" تحمل كاميرا عالية الجودة وقادرة على تسجيل فيديو بجودة عالية. وهو ما ساعدهما على الحصول على صور ومقاطع فيديو جميلة ومذهلة من السماء، مما أضاف بعدًا إضافيًا إلى توثيق رحلاتهما ومشاركتها مع العالم.

من بين المعدات التي اعتمد عليها الرحالتان أيضا، والتي تم رصدها واضحة في الفيديوهات المبثوثة على صفحاتهم وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، يأتي **جهاز الكمبيوتر المحمول**. يبدو أنهما يستخدمانه بشكل متكرر، وذلك في أغلب الأوقات، وذلك لأغراض معالجة وتنظيم الصور وإعداد مقاطع الفيديو. هذا الكمبيوتر المحمول يؤدي دورًا حاسمًا في عملية إنتاج المحتوى، حيث يمكن من خلاله تحرير ومعالجة الوسائط المتعددة بكفاءة.

المطلب الثاني: فن المونتاج الرقمي: إبداع الرحالة في تحسين محتوى الفيديو والصور

من خلال متابعتنا لجميع المنصات التي يشارك فيها الرحالة المغربي ياسين غلام، والرحالة المغربية مريم بلكيحل تجربتهما في الرحلة المعاصرة، يظهر بوضوح اعتمادهما على استخدام برامج تحرير الفيديو (المونتاج) بعد التصوير. إذ يتم استخدام هذه البرامج لتحسين وتعديل مقاطع الفيديو الجوي وإضافة مؤثرات بصرية وصوتية، مما يعزز من جودة المحتوى الذي يتم تقديمه.

وعلى الرغم من عدم معرفتنا بالبرامج المحددة التي يستخدمانها، إلا أنه في غالب الأمر يتم الاعتماد على برامج المونتاج المعروفة مثلAdobe Première Pro ، وهو برنامج محترف لتحرير الفيديو يتيح تعديل ومعالجة مقاطع الفيديو بشكل شامل. كما يُعْتَمَد عادةًFinal Cut Pro X ، وهو برنامج محترف مصمم خصيصًا لأجهزة.MACOS

بالإضافة إلى ذلك، يبدو أنهما يستخدمان برنامج After Effects ، وهو برنامج مميز يُستخدم لإضافة تأثيرات بصرية وتحريك الرسوم والخرائط. كما يُستخدم هذا البرنامج بشكل خاص في إنشاء مقدمات الفيديو "Intro" أو Motion Graphics التي تعتمدها مريم بلكيحل في العديد من فيديوهاتها (مريم بلكيحل، 2013، @meghyem0ut).

ويمكن القول إن استخدام البرمجيات المتقدمة للمونتاج يساعد الرحالة على تحسين وتخصيص محتواهم بشكل إبداعي، مما يضيف قيمة إلى تجربة المشاهدين.

أما فيما يتعلق بالفيديوهات القصيرة، فيبدو أن الرحالتين يقومان بتحريرها بشكل رئيسي باستخدام تطبيقات مونتاج على هواتفهم الذكية مثل تطبيق Kinemaster و Inshot وهذه التطبيقات تُستخدم بشكل شائع بسبب سهولة استخدامها وإمكانية تحرير الفيديو أثناء التنقل، مما يجعلها مثالية لإنتاج محتوى سريع وجذاب.

بالإضافة إلى ذلك، يظهر من الصور المعدلة أنه تم استخدام برامج معالجة الصور مثل Adobe Lightroomو Adobe Photoshop ، تُستخدم هذه البرامج لتعديل الصور وإضافة تأثيرات بصرية مميزة، مما يُظهر الاهتمام بتحسين جودة المحتوى وإضافة لمسات فنية إلى الصور. هذا الاعتماد على تطبيقات الهواتف والبرامج المعالجة يساعدهم على إنشاء محتوى جذاب ومعدل بشكل

احترافي حتى عندما يكونون في الحركة خاصة على الدراجات الهوائية التي لا تسمح بالكثير من التوازن.

المطلب الثالث: مؤشر التفاعل عبر منصات التواصل الاجتماعي واليوتوب في الرحلة الرقمية

تشكل مواقع التواصل الاجتماعي ومنصة اليوتوب منابر إعلامية حيوية ومهمة خاصة على مستوى التواصل والتفاعل، فحياة الرحلة الرقمية متصلة باستمرار المنصات، واستمرار المتابعين واشتراك الجمهور في هذه الصفحات هو شرط المعرفة والتلاقح والتفاعل. وعبرها نستمع إلى أصوات الرحالة وانطباعاتهم ونعرف مستجداتهم النفسية والصحية والفيزيولوجية ومشاكلهم وحياتهم الواقعية إما مباشرة عبر LIVES التي يطلقونها من أجل التفاعل المباشر مع المتابعين، أو عبر الفيديوهات والصور التي يقومون بتحميلها ومشاركتها مع العموم، ومراقبة التعليقات أسفل المقطع في صندوق الوصف (البايو) أو في مساحة التعليقات الخاصة.

يُلاحظ أن الشابين معا يقومان بالتفاعل والتوثيق عبر منصات التواصل الاجتماعي مثل إنستجرام، تويتر، وفيسبوك لمشاركة الصور والقصص ومقاطع الفيديو من رحلاتهم. بالإضافة إلى ذلك، يستخدمان منصة اليوتيوب لتسليط الضوء على المناظر الجميلة واللحظات الفريدة التي يعيشانها أثناء سفرهما.

كما نسجل أيضا أهمية التواصل المباشر من خلال تفاعل الرحالة مع متابعيهم على هذه المنصات، حيث يجيبون على أسئلتهم، ويشجعون على المناقشة، ويشاركون تفاصيل إضافية عن رحلاتهم. ويُظهر هذا التواصل القوي الارتباط الوثيق بين الرحالة وجمهورهم.

منصة اليوتيوب تُستخدم بشكل خاص لنقل مقاطع الفيديو الطويلة وتقديم محتوى مفصل حول رحلاتهم، التي يشرحون فيها تجاربهم بشكل أكبر ويقدمون معلومات تفصيلية حول الوجهات والنصائح للمسافرين، أو للقيام بفيديو تقديمي/ تعريفي حول الرحالة شخصيا أو مجال الرحلة والاهتمامات.

يعتبر الرحالة سفراء للرياضة عبر مجموعة من المظاهر منذ اللباس والأحذية، والقبعات وأيضا بالدراجات والتشجيع على المشي والجري والنوم في مخيمات مكشوفة واستغلال الصباح الباكر في الحركة. ونجد تنوعا في الأنشطة الرياضية من تسلق الجبال والغوص في الممرات الطينية، والسباحة، وفي بعض الدول نجدهم يسوقون لرياضة ركوب الجمال وسباق الهجن، والحركة في الرمال، وغيرها من المظاهر المتنوعة التي تعكس التنوع والغنى الثقافي في البلدان المرتحل إليها، ناهيك عن التنوع في الأكل وفي نمط العيش بين الشعوب.

وهنا تظهر أهمية القراءة الموازية للمعطيات التي تأتي مصاحبة لفعل متابعة الرحلة الرقمية، فهناك الخطاب الذي تنقله شخصية الرحالة، والخطاب الذي تنقله آلة التصوير الخاصة به، وهناك ما تلتقطه عين المتابع/ المتفرج والتي لا تحتاج إلى أن تسأل الرحالة عنه. بل هو نمط حياة يتم التسويق له، نمط الخفة (جيل ليبوفتسكي) والرشاقة (Light style) والرجوع إلى الطبيعة وإيثار الحياة البسيطة بأقل التكاليف، والعيش الإنساني في كل الظروف ومهما كان المحيط تتجرد كل الأشياء وتطفو على السطح إنسانية الإنسان وفطرته وغريزة البقاء لديه.

إن انتشار وبقاء نشاط الرحالة الرقميين رهين ببقاء نشاطهم على المنصات الرقمية وعلى التواصل الافتراضي، والمؤشر الأساس على هذه الاستمرارية هو نسب المتابعين والتفاعل والإعجاب

والاشتراك. مثلما أن صيت اللقاء والتواصل يحصل فقط عبر هذه الوسائط والمنصات، وفيما يلي نرصد هذه المعطيات من خلال تجربة الشابين المغربيين، ياسين ومريم بلكيحل من خلال مسح بياني يهدف إلى المقارنة بين نشاطهما على المساحة الافتراضية، علما أن رحلتيهما لم تحصلا في الوقت ذاته بل متفرقة وفي أزمنة متباعدة، ويأتي هذان المبيانان مصحوبين بعدد المتابعين ونسب التفاعل على كل منصة:

	مريم	ياسين
Youtube	17,3 k	234 k
Instagram	92.6 K	13.6 K
Facebook	28K	103K
Twitter	34.1K	13.4K
Tiktok	61.4K	**232**

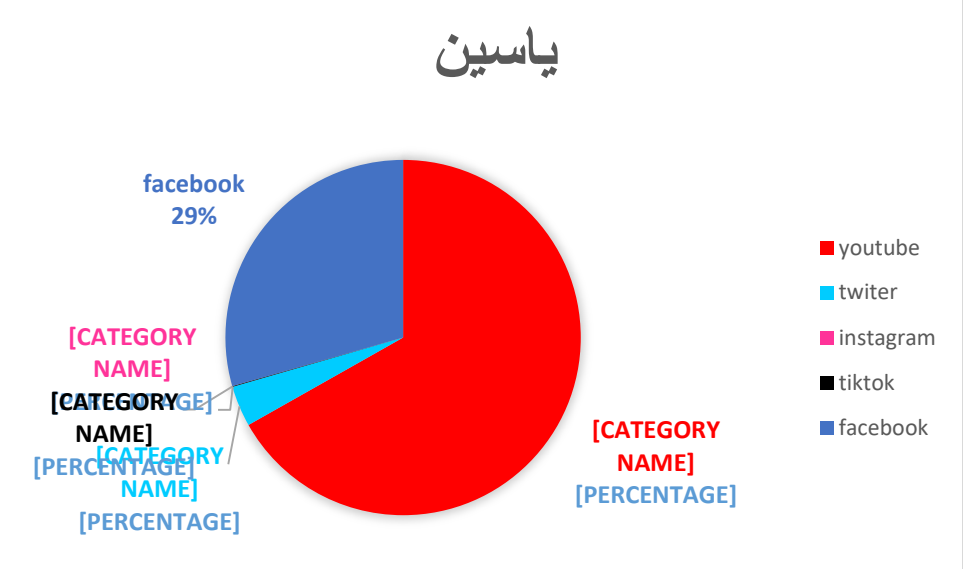

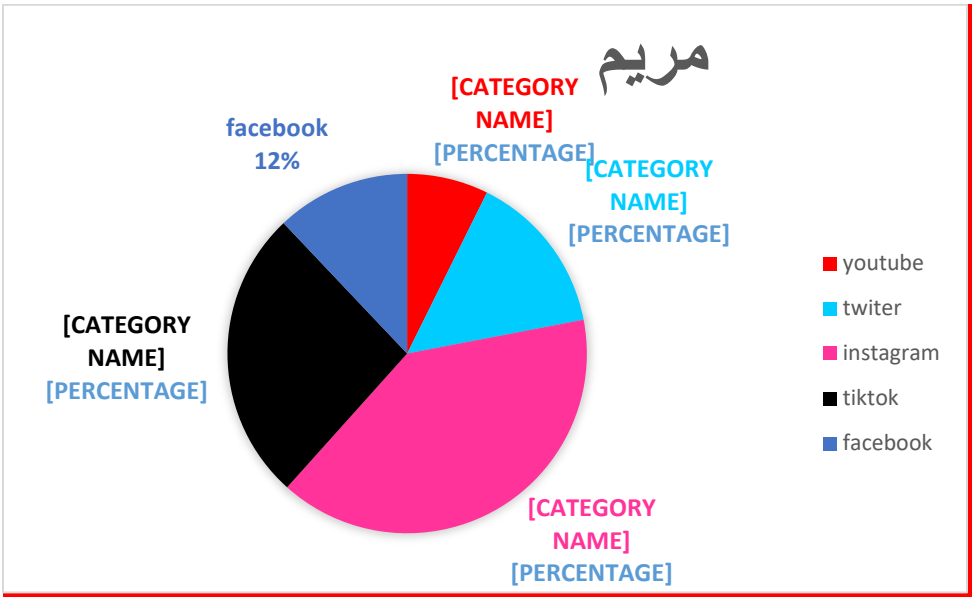

توضح الخطاطات أعلاه أن النشاط الرقمي على صفحات التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية هو العامل المؤثر على استمرار التداول والتفاعل على مستوى نشاط الرحالتين الشابين، فمن جهة نرصد أهمية توثيق العمل الرحلي ومختلف العناصر الملحقة به، ونقصد هنا مجمل الأنشطة الإعلامية المصاحبة للنشاط الرقمي (من خلال استضافة القنوات الفضائية للرحالتين، ومن خلال التقارير التي تجهزها الجرائد الإلكترونية عنهما إلخ...). وعموما يبدو أن مريم بلكيحل أكثر نشاطا على صفحات التواصل الاجتماعي خاصة الانستغرام، بينما يبدو أن رشيد غلام حاضر أكثر على مواقع اليوتوب وعلى صفحات السناب الشات. ويفسح هذا التنوع مساحة أكثر للمتابعين والجمهور كل حسب الوسائل التي يفضلها في المتابعة والتصفح الرقمي، كما يمنح مساحات أوفر لانتشار تجربتهما في الرحلة.

المبحث الأول: تنوع الإبداع مؤشر على التنوع الثقافي

يشارك الرحالة الشباب المعاصرون عدة أنواع مختلفة ومتنوعة من مقاطع الفيديو عبر منصات التواصل وعلى صفحات التواصل الاجتماعي، منها ما يتصل بعادات الشعوب المرتحل إليها وتقاليدهم ومناسباتهم وأنماط التكيف مع الجغرافيا ومع المناخ والأنظمة الجيوستراتيجية، خاصة أن الرحالة خاضوا في أماكن تعرف هروبا أهلية وصراعات بين الفصائل المختلفة. ناهيك عن التنوع بين القرى والمدن والتباين الاقتصادي للشعوب والأخلاق المرتبطة بكل دولة، فمن الشعوب المضياف المرحاب (السودان مثلا) بإجماع أغلب الشباب الرحالة، ومنها ما يرفض التواصل مع الأغراب والأجانب.

قدم الرحالتان المغربيان مريم بلكيحل وياسين غلام مجموعة متنوعة من مقاطع الفيديو على منصات التواصل الاجتماعي لمشاركة تجاربهم ومغامراتهم مع الجمهور. هذه المقاطع الفريدة والمتنوعة تعكس مختلف جوانب رحلاتهم وتفاعلاتهم مع البيئات التي يزورانها.

أحد أنواع الفيديو التي قاما بإنشائها هي مقاطع **الفيديو السفرية**، حيث يشاركان لحظات مميزة من رحلاتهما ويستعرضان المعالم السياحية والثقافة المحلية للأماكن التي يزورانها، مما يتيح للمشاهدين فرصة اكتشاف عوالم جديدة واستكشاف الأماكن التي تبدو مجهولة عند الكثيرين.

بجانب ذلك، ينتج كل شاب من الرحالتين، مقاطع **فيديو تعليمية** ونصائح للمسافرين، حيث يشاركان خبراتهم ومعرفتهم بكيفية التخطيط للرحلات والاستمتاع بتجارب السفر بشكل أفضل، ويقدمان نصائح حول اختيار الوجهات والسكن والأنشطة والمزيد.

من جهة أخرى، يقومان بإنتاج مقاطع **فيديو ترفيهية ومسلية** تشمل التحديات والألعاب والتجارب الفريدة، ويستخدمان الإبداع والمرح لجذب المشاهدين وتقديم تجارب ترفيهية ممتعة.

نسجل أيضا وجدود مقاطع فيديو أقرب إلى **فيديو الثقافة والتاريخ**، من خلال استكشاف وتوثيق الثقافات المحلية والتوثيق للأحداث التاريخية، أو للتعريف بتاريخ الشعوب المرتحل إليها، والمعالم السياحية والمهرجانات المحلية.

نجد أيضا **فيديو المناظر الطبيعية:** إذ يتم التركيز على تصوير المناظر الطبيعية الخلابة مثل الجبال والبحار والبيئة الحيوانية، ورصد تنوع المناخ والغابات والشلالات، ناهيك عن الاقتصاد المحلي وطبيعة الزراعة المنتشرة في إفريقيا.

ناهيك عن **مقاطع فيديو الطعام والمأكولات:** من خلال توثيق تجارب تناول الطعام المحلي والمأكولات الشهيرة في المناطق التي يزورها الرحالة.

وبالإضافة إلى ذلك، يشترك الرحالتان في **التصوير الجوي** من خلال مقاطع الفيديو التي تم التقاطها باستخدام الدرون (المسيرات)، وهذا يمنح المشاهدين منظورًا فريدًا من الأماكن والمناظر الطبيعية، ومساحات أكبر من حيث محيط وزوايا التصوير ونقل المشهد للمتابعين.

بشكل عام، تعكس هذه الأنماط المتنوعة من مقاطع الفيديو تفرد الرحالة المعاصرين واهتمامهم بمشاركة تجاربهم بطرق مبتكرة وجذابة مع الجمهور، مما يجعلهم رحالة رقميين يستمتعون بالتواصل والتفاعل مع معجبيهم بشكل مميز.

المطلب الأول: أنواع الفيديو والإبداع الرقمي في رحلات مريم بلكيحل وياسين غلام

أما من الناحية التقنية، فنسجل تنوعا على المستوى التقني والفني في نقل المواد الرقمية وتحميلها، والتي تعكس انخراط الجيل المعاصر من الشباب في مواكبة معطيات التطور التكنلوجي، وهناك عدة أنواع من الفيديوهات التي تمكن الرحالة من إنشائها ونشرها عبر صفحاتهم وعبر المنصات الإلكترونية:

الفيديو العادي :(Standard Vidéo) هو نوع الفيديو الأساسي الذي يتم تسجيله بكاميرا وتحريره لاحقا، يشمل تصوير المناظر الطبيعية والأنشطة واللقطات العامة التي ينقلها الرحالة من أجل تقاسمها مع المعجبين.

الفيديو بالبطء :(Slow Motion) يتم تصوير اللقطات بسرعة عالية ثم تبطئ أثناء التحرير لإظهار التفاصيل ببطء، كما تم استخدام هذه التقنية لتسليط الضوء على لحظات محددة أو لتوثيق الحركة بشكل فني.

قام كل من مريم بلكيحل وياسين غلام بإنتاج مقاطع **فيديو Motion Graphics** المميزة ضمن محتواهم على منصات التواصل الاجتماعي. يُعرف فيديو Motion Graphics بأنه نوع من مقاطع الفيديو التي تستخدم الرسوم المتحركة والتأثيرات البصرية لتوصيل معلومات معينة أو قصص بشكل مبتكر وجذاب.

عادةً ما يتم إنشاء فيديو Motion Graphics باستخدام برامج مثلAdobe After Effects ، وهي برامج تمكن المبدعين من إنشاء حركة وتأثيرات بصرية ديناميكية. هذه المقاطع تعتمد على الجرافيكس المتحركة والرسوم المتحركة لنقل الأفكار والمعلومات بشكل بارع.

كما ركز الرحالتان على إنتاج مقدمات الفيديو "Intro" باستخدام تقنيات .Motion Graphics هذه المقدمات تُستخدم عادةً في بداية الفيديوهات لجذب انتباه المشاهدين وتقديم تصور مبدع عن محتوى الفيديو. ويُمكن أن تتضمن هذه المقدمات تأثيرات بصرية رائعة، مثل الحركة والانتقالات والتداخلات بين العناصر الرسومية.

كما استخدما ال Motion Graphics لإضافة لمحة فنية وجذابة إلى محتواهما الرقمي، مما يميز فيديوهاتهما ويسهم في انبهار وجذب المشاهدين. هذا يعكس التفرد والابتكار في تقديم تجارب مشاهدة مميزة للجمهور، كما يعكس أهمية التصوير الفني في إضفاء معطيات الجذب وإثارة الاهتمام لدى المشاهدين، خاصة أنها حلت محل السرد والوصف المكتوب واللذين كانا سائدين في الرحلة الكلاسيكية، والتي تعتمد على براعة الكاتب وخياله وبلاغته في تقريب المشاهدات من خيال القارئ، أما في الزمن المعاصر فقد حلت الصورة محل ما سبق، ولكن باتت العناية بهذه الفيديوهات والصور أمرا ضروريا.

الفيديو الوثائقي: هذا النوع من الفيديو نجد كلا الرحالتين قد اعتمداه بالأساس على منصة اليوتيوب، بغرض توثيق وشرح موضوع معين بمزيد من التفصيل والبحث.

الفيديو التعليمي: استخدم الرحالة الفيديو التعليمي لشرح مفاهيم سواء كان ذلك بخصوص السفر أو التصوير نفسه، كما يشمل ذلك أيضًا تقديم نصائح وإرشادات. مثلا تعرضت مريم بلكيحل للإصابة بالملاريا مرتين (واحدة في إفريقيا الوسطى والثانية في الكاميرون)، واستخدمت أدوية معينة ونقلت تجربتها للمتابعين حتى يتجنبوا ما قاسته وعانته ويتعرفوا على الأعراض ووسائل الوقاية والعلاج، وفي ذلك تقاسم للتجربة التعليمية الشخصية بناء على واقع معيش، ولاقت تفاعلا طيبا.

الفيديو التسويقي: استخدمت مريم بلكيحل هذا النوع في الترويج لخدمة Orange .

الفيديو الفني أو الإبداعي: يشمل هذا النوع من الفيديو تجارب فنية وإبداعية مثل تصوير الفيديو بتأثيرات خاصة أو تجارب توجيهية.

الفيديو الرياضي: يستخدم لتسجيل الأنشطة والرياضات المغامرة مثل ركوب الأمواج أو التسلق أو ركوب الدراجات الجبلية.

الفيديو القصير أو الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي: اعتمده الرحالة لتصوير مقاطع فيديو قصيرة وشيقة لمشاركتها على منصات مثل Instagram و TikTokوغيرها.

الفيديو السينمائي: يتميز هذا النوع بجودة صورة عالية واهتمام كبير بالإضاءة والإخراج. يمكن أن يكون جذابًا جدًا من الناحية البصرية ويعتمد على التصوير الفني.

الفيديو الخام :(Raw) تصوير الفيديو بدقة عالية وبدون معالجة كبيرة لاحقا، مما يتيح للمشاهدين رؤية الصورة كما تم التقاطها أصلا.

الفيديو بزاوية النظر الأولى :(First-Person View – FPV) يتيح هذا النوع للمشاهدين رؤية العالم من خلال عيون الرحالة، وهو شائع في التسجيلات أثناء ممارسة الأنشطة الرياضية مثل الطيران بالمظلة وركوب الدراجات النارية.

المطلب الثاني: مؤشر الغرائبية

من المؤكد أن غاية الرحلة تحقيق أهداف متنوعة تأتي في مقدمتها المتعة والمغامرة والوصول إلى الهدف المنشود وهو إنهاء الرحلة في المكان المقصود دون أن يكون شرط الزمان رهانا مضبوطا، فعنصر الزمن غير ملزم للرحالة لأنه غير عالم بما يخبئه له السفر. وفي مبحث طريف للباحث

"رشيد عميرو" نراه يحصر الزمن في ثالوث واضح إذ يقول: "تتقابل المقاطع الثلاثة لطقوس العبور في شكلها مع الأزمنة الثلاثة للسفر: هي الانطلاق – وممر العبور– ثم الوصول، الذي يحيل على فكرة تجاوز العتبات المتلاحقة والمحددة جدا. ولا تقدم طقوس الأسفار تقطيعا دقيقا في سيرورتها... وهكذا يظل عالم السفر عالما للعبور بكل معاني الكلمة، ففي السياحة يوجد المكان المرتفع أو مقاطع طقوس العبور المعاصرة" (عميرو، ٢٠١٣، ص:١٧١)

ينتفي في هذا التقسيم كل التزام بمعايير جودة الزمن وكميته، وهو غاية ما تنشده السياحة التي تنعجن وتختلط بشكل عميق غير قابل للفصل مع الرحلة مهما كانت قصديتها (الحج، الاستزادة في العلم، التبرك بالأضرحة، الاستشفاء...) حتى باتت آخر صيحات وكالات الأسفار أنها تغري الحجاج بزيارات تمزج بين الحج والسياحة عبر بلدان متنوعة (تركيا – الإمارات– فلسطين– سوريا– الحج). وتلك ثقافة باتت تترسخ أكثر فأكثر في الجيل المعاصر من المسافرين الجدد والسياح عبر الأسفار المختلطة، فيغتني محكي السفر، وتتناسل شعاب المتخيل الجمعي، ويمتزج المقدس بالمدنس.

ولن يخرج رحالتنا "الشاب ياسين المغربي" عن هذا الديدن، لأن فكرة المتخيل السياحي باتت حلم كل شاب من الألفية الثالثة، خاصة بعد سطوة وسائل التواصل الاجتماعي التي تغريهم وتغرقهم يوميا بسيل من 'السلفيات' (Selfi) التي تسيل لعاب خيالهم السياحي. فتحول الواقع إلى لحظات هشة عابرة لا تستقر في وجدان الشباب إلا إذا أجازها العالم الافتراضي واكتسبت مشروعيتها منه. "لم يعد الطفل يتعرف على محيط بكر تبنيه حقائق ناطقة في وجود مادي، فحقائق هذا الوجود وتفاصيله تأتيه اليوم بواسطة الصورة أولا، وبعد ذلك تلتقط عيناه أشياء تكون صورتها في وجدانه نسخة سابقة

بنيت في الآلة بفضل تعديلات وتحسينات فوتوشوب، واستنادا إلى مسبقات المصور ومواقفه. وتلك حالة الحشود من التلاميذ والطلبة والمتعلمين من كل فئات الشعب.

إن الصورة عندهم هي الحقيقة الوحيدة القابلة للتداول: لم تعد تضحكنا مواقف الناس في الشوارع والحارات والأسواق، فنحن لا نكتشف المتعة فيها إلا عندما يتقاسمها الناس في الفايسبوك أو ينشرونها عبر الواتساب. وهذا معناه أن الصورة لم تعد وسيطا، إنها الواقعة والمنتج والجسد والطبيعة ذاتها، فهي لا تستنسخ واقعا، كما تَوَهَمْنا ذلك قديما، بل تنتج نسخا منه مزيدة ومعدلة ستتحول مع الوقت إلى شاشة صماء تفصل بيننا وبين حقائق حياتنا كما ألفتها أعيننا" (بنكراد،٢٠١٩ ، ص: ١٣-١٤).

لا يتوقف مؤشر الغرائبية في الرحلة على الجندرية، أو الإعاقة أو وسيلة التنقل عبر الرحلة (يدوية/ بدائية/دراجة/ مشيا على الأقدام/ Auto stop) فقط بل يتجاوزها إلى بعض المغامرات المعيشة التي تصل إلى حد الخطورة في الكثير من الأحيان والتي وثق لها أصحابها عبر صفحاتهم الاجتماعية، وتلقفتها وسائل الإعلام والصحافة وزادت من شهرتهم (من سجن، واختطاف، وضياع، وسرقة وغيرها).

من ذلك ما حدث في تجربة رحالتنا "الشاب ياسين المغربي" الذي تعرض في قرية صغيرة من قرى غينيا كوناكري لحادث غريب وخطير في آن، حيث فرض عليه زعيمها أن يتزوج ب ٥٥ امرأة (وهو مجمل عدد نساء القرية) بغض النظر عن سنهن أو وضعيتهن الاجتماعية (متزوجات/ مطلقات/ عازبات)، إذ وجد نفسه في خيار إما الإذعان أو الموت. وكانت حجة زعيم القبيلة هي تحسين النوع/ اللون. وهنا نلمس استمرار عقدة الأبيض التي مازالت سائدة إلى حدود القرن ٢١، ناهيك عن

عبادتهم لصنم على شكل امرأة منحوت على جبل يطل على القرية، وها هنا استمرار بعض العبادات الوثنية في مثل تلك القرى. وهذه الأشياء موثقة على صفحاته على منصات التواصل الاجتماعي خاصة السناب شات والأنستغرام واليوتوب.

من العادات الغرائبية التي صادفها الشاب أيضا أن الناس في قرى مدغشقر، إذا مات الرجل لا يدفن إلا بعد أن تذبح كل أبقاره، كما وجد رجلا أنجب قبيلة بمفرده في قبيلة الماساي إذ تزوج ب١١ زوجة، وأنجب ٦٠ طفلا وعمره الآن ٨٤ سنة. ووجد قبيلة في زامبيا تتعبد بطريقة غريبة، إذ يقومون بالرقص والتصفير طيلة اليوم وهم يحملون إنجيلا، من شروق الشمس إلى غروبها. وغيرها من القصص الغريبة والعجيبة التي يقوم بنشرها وبثها على منصات التواصل.

نلاحظ أن الشاب قد اعترف بنفسه، بعناصر الغرائبية والعجائبية حول أحداث وبلدان وقرى وعادات وتقاليد ما كان يظن أنها مازالت تمارس في الألفية الثالثة، وأنه ما كان ليتعرف عليها لولا قيامه برحلته تلك. ويبدو أن عنصر الغرائبية في الحدث قاسم مشترك بين الرحلتين الكلاسيكية والمعاصرة، لكن صناعة الحدث، وتوثيقه هو الذي اختلف.

أورد "ابن بطوطة" في "تحفته" هذا النص: "حضرت مجلس السلطان (السودان) في بعض الأيام، فأتى أحد فقهائهم، وكان قدم من بلاد بعيدة، وقام بين يدي السلطان، وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضي فصدقه، ثم صدقهما السلطان فوضع كل واحد منهما عمامته عن رأسه، وترب بين يديه وكان إلى جانبي رجل من البيضان، فقال: أتعرف ما قالوه؟ فقلت: لا أعرف. فقال: إن الفقيه قد أخبر أن الجراد وقع ببلادهم. فخرج أحد صلحائهم إلى موضع الجراد، فهاله أمره، فقال: هذا جراد كثير. فأجابته جرادة منها، وقالت إن البلاد التي يكثر فيها الظلم، يبعثنا الله لفساد زرعها. فصدقه القاضي

والسلطان، وقال عند ذلك للأمراء: إني بريء من الظلم، ومن ظلم منكم عاقبته، ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه. والله حسيبه وسائله، ولما قال هذا الكلام، وضع الفرارية عمائمهم عن رؤوسهم، وتبرأوا من الظلم"(ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٧٠١).

لا تخلو متون الرحالة الكلاسيكيين من حكايات وأعاجيب مشابهة لما أورده ابن بطوطة، وتختلف درجة الغرائبية حسب تصنيفات بروب وتزفيتان تودوروف (Todorov, 1970/ Propp 1970.) ، لكن يجدر أن نضيف إلى تصنيفاتهم مستوى جديدا هو "الغرائبية الرقمية". فعلى قدر أهمية الحدث وعجائبيته، تتجلى أهمية طريقة تشكله والقالب الذي مزجت وسبكت فيه، وماذا لو قلنا: "صورت به"؟ فهل نقول إن درجة العجب والغريب ترتفع لتشمل غرابة طرائق الحكي والسبك والتصوير الفني والرقمي؟ "إن إدراج نص ما ضمن أدب العجيب، واعتباره بذلك نصا عجيبا، إجراء لا يخلو من مجازفة، وقد يحمل في طياته تمثلا مسبقا حول النص، أو أحكاما قبلية، تعكس رؤية نمط معين من التلقي، فالقارئ أي قارئ، يقف من النص موقفا خاصا، تحدد معالمه نوع ثقافته وطبيعة رؤيته، فيُصَدِقُ عجائب النص ويسلم بها، أو يلجأ إلى تأويلها تأويلات شتى يرفضها، ومن هنا تختلف زوايا النظر ومناهج القراءة وأنماط التأويل، مع أن النص قد يسهم في منح هذه الإمكانية أو تلك في القراءة بما يوفره من قدرة على التأثير والإقناع والسطو، وبما يتضمنه من قرائن نصية وتناصية" (التوزاني، ٢٠١٧، ص: ٢٣.) .

وكأننا بالاستشهاد أعلاه نجد حجة على أهمية إعادة النظر في الدور الكبير الذي يؤديه المتلقي في التجنيس وإعطاء المشروعية لعجائبية وغرائبية عمل ما، مع اختلاف بسيط هو أن الباحث أعلاه

يتحدث عن "النص المكتوب"، ونحن نؤكد على أنه "عمل فني ورقمي غير مكتوب"، لكنه يسري عليه ما يسري على أعاجيب الرحلات الكلاسيكية.

الخاتمة

باستخدام هذه الوسائل، نستنتج أن كل الرحالة الرقميين بشكل عام ونموذج الشابين المغربيين على وجه الخصوص يقومون ببناء مجتمعات عبر الإنترنت حول شغفهم بالسفر والاستكشاف. يُحفِّزون الآخرين على اكتشاف العالم والمشاركة في تلك التجارب، ويعطون للرحلة نفسا جديدا عبر مزج معطيات سمعية بصرية بعناصر سردية عجائبية ووقائع حقيقية سرعان ما تدخل في مادة التاريخ والجغرافيا. ناهيك عن كونهم سفراء البيئة عبر اهتمامهم بالطبيعة وباستخدام وسائل تنقل صديقة للبيئة (الدراجة الهوائية)، وبالشحن عبر الطاقة الشمسية وإشعال النار بمواد طبيعية (الأخشاب)، وبتبني نمط حياة صحي طبيعي، يقوم على تغذية صحية، ورياضة وتبادل طاقات نشيطة مع الطبيعة والأشجار (الهواء النقي)، وهم أيضا سفراء لنقل تغيرات المناخ، وأنواع المواسم المطرية (الاستوائية/ والجافة/ والمطيرة).

وختاما يبدو أن الرحلة المعاصرة نموذج عن التطور الذي يحصل في أفق الرحلة باعتبارها فنا كلاسيكيا عاد إلى ساحة النقاش الفنية والفكرية عند شباب الألفية الثالثة ممن أقبلوا على وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية. وتجسد الرحلة المعاصرة شكلا جديدا من أشكال التواصل والاحتكاك الثقافي عبر نقل صور الأنا والآخر، ونقل مظاهر التأثير والتأثر بين ثقافات الشعوب. والحقيقة أن هذه الدراسة يمكن تطويرها بشكل آخر من خلال مقارنتها مع الرحلة الكلاسيكية خاصة عند ابن بطوطة ورصد ملامح الاحتكاك الثقافي عبر التاريخ تارة بالصور وتارة بالحكي والسرد

البعدي. خاصة أن الدرس المقارن يسمح بفتح آفاق أرحب لدراسة تبادل الصور (الصورلوجيا)، والأفكار والنظريات والثقافات في مختلف العصور وبين مختلف المجالات (أدبيا وفنيا وتقنيا).

المصادر والمراجع

١. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقيم وتحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم- بيروت، الجزء الأول، طبعة ١٩٨٧.

٢. خالد التوزاني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر والتوزيع/ الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠١٧.

٣. رشيد عميرو: المتخيل السياحي، تقديم ميشال ويلبيك، ترجمة: سعيد علوش، الطبعة الأولى ٢٠١٣.

٤. سعيد بنكراد: تجليات الصورة، سيميائيات الأنساق البصرية، المركز الثقافي للكتاب، البيضاء. الطبعة الأولى ٢٠١٩.

٥. سعيد علوش: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر فرنسي – عربي، مراجعة كيان أحمد حازم يحيى وحسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٩.

٦. فريد بوجيدة: الصورة والمجتمع، من المحاكاة إلى السينما، مطبعة الجسور- وجدة، الطبعة الأولى ٢٠١٦.

٧. محمد مفضل: السخرية في الثقافة الرقمية، دراسة ثقافية للخيال النثري، للقيم الثقافية ولفلسفة اليومي على الفيسبوك، دار أبي رقراق الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

8. Elsa Godart : Je selfie donc je suis, Les métamorphoses du moi à l'ère du virtuel, éd. Albain Michel,2016

مواقع إلكترونية:

- ✓ https://twitter.com/Meghyem0ut/status/1306581362208575488?s=20